جامعة تكريت

كلية العلوم الإسلامية

قسم العقيدة والفكر الإسلامي

محاضرات مادة التصوف والأخلاق

المرحلة الأولى

المحاضرة الخامسة

الفرق بين الزاهد والعابد والعارف

إعداد

د. عبدالله نجم عبدالله

الفرق بين الزاهد والعابد والعارف

الـزهـــــد

الزهد لغةً: ترك الشىء أو الميلِ إليه.

واصطلاحا: عند الصوفية هو بغض الدنيا والإعراض عنها،

وقيل إن الزهد ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة،

وقيل أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك، ومنه جاء مصطلح الزاهد أى المعرض عن متاع الدنيا ولذاتها.

وهناك من فرق بين الصوفى والزاهد والعابد،

فيذكر ابن سينا أن المُعْرِض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد،

والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يسمى العابد،

والمنصرف بفكره إلى الله مستديما لشروق نور الحق فى سره يخص باسم العارف.

والعارف عنده هو الصوفى. ومن هنا فقد فرق بين الزاهد والصوفى.

الزاهد من يزهد فى الدنيا، والصوفى يزهد فى كل ما يبعده عن الله، الزاهد يحرم نفسه من متاع الدنيا، والصوفى لا يحرم نفسه من متاع الدنيا إلا إذا حجبته عن الله، الزاهد غايته دخول الجنة، والصوفى غايته معرفة الله، الزاهد لابد أن يملك حتى يزهد فيه، والصوفى لا يشترط أن يملك شيئا حتى يزهد فيه، وعلى ذلك فإن الزهد بالمفهوم الصوفى أن تكون الدنيا فى يده لا فى قلبه. ومن ذلك نرى أن كل صوفى زاهد، وليس كل زاهد صوفيا.

لكن من هو الزاهد والعابد والعارف؟ قال الشيخ في بيان ذلك: «المعرض عن متاع الدنيا وطيّباتها يخصّ باسم الزاهد، والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام

ونحوهما يخصّ باسم العابد، والمنصرف بفكره إلى قدس الجبروت، مستديماً لشروق نور الحقّ في سرّه، يخصّ باسم العارف، وقد يتركّب بعض هذه مع بعض»([٤٤٣]).

يخلط الكثيرون من الناس بين الصوفي والعابد والزاهد ، فإذا ما رأوا شخصا كثير العبادة قالوا عنه أنه صوفي ، ولاشك أن الصوفي كثير العبادة ، ولكنك قد تجد أشخاصا كثيرين كثيرى العبادة ويقيمون الصلاة والنوافل ولا يكون معنى ذلك أنهم من الصوفية ، فهناك فرق بين الصوفي والزاهد والعابد وإن كان الصوفي زاهد عابد .. إن المعرض عن متاع الدنيا وملذاتها هو الزاهد ، فى حين أن المواظب على فعل العبادات هو العابد ، غير أن المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق فإن ذلك هو العارف كما وصفه بن سينا والعارف عند بن سينا هو الصوفى .. غير أن الزاهد قد يكون عابدا والعابد قد يكون زاهدا فيمتزج الزهد بالعبادة فى شخص واحد الذى قد لا يكون بزهده وعبادته صوفيا .. وإن كان الصوفى هو زاهد وعابد فى آن واحد ..وهذه التفرقة إنما هى فى الهدف أكثر منها فى الأسلوب والمنهج ..
ومثلما قالت السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها أن زهد غير الصوفى إنما هدفه الإستمتاع بالآخرة فهو نوع من المعاملة " يشترى متاع الدنيا بمتاع الآخرة " أما الصوفى يزهد فى الدنيا لأنه يتنزه عن أن يشغله شيئا عن الله ، وعبادة غير الصوفى هدفها دخول الجنة ، كأن يعمل فى الدنيا مقابل أجر ياخذه فى الآخرة فهو كالأجير الذى يعمل بالنهار مقابل أجر يأخذه فى آخره ، أما عبادة الصوفى ، فإنها إستدامة لصلته بالله تعالى ، فهو يعبد الله لأنه مستحق للعبادة لا لرغبة أو رهبة .. لا أعبد الله ليس طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره وإنما لوجهه الكريم
..فالتصوف ليس خلقا فحسب ولا زهدا فقط ولا عبادة فقط ، غير أنه وإن كان متضمنا الخلق الكريم والزاهد الرفيع والعبادة المتجردة فهو شىء آخر .. فالصوفى هو الذى صفى الله قلبه من شوائب الأكدار فإمتلأ قلبه نورا ومن دخل فى عين اللذة بذكر الله

تعريف الزاهد والعابد والعارف

يقول ابن سينا في (الإشارات

:(المُعرِض عن متاع الدنيا وطيّباتها يُخصُّ باسم الزاهد؛

وأمّا المواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوها فيُخصُّ باسم العابد؛

والمتصرّف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحقّ في سرّه يُخَصُّ باسم العارف،

اخلاق الصوفية

تميز الصوفية طوال تاريخهم بأخلاقيات انفردوا بها عن غيرهم وخصوا أنفسهم بها دون سواهم، بجانب الاخلاقيات الاسلامية العامة التى ينبغى أن يتحلى بها كل مسلم انطلاقا من حديث النبى صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق « ولذلك عرف الصوفى بالأخلاق، ومن زادك فى الخلق والصفاء زادك فى التصوف. والتصوف فى مفهومه الصحيح كما بينه أئمته منهج سلوكى تربوى قائم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبه تتم مكارم الأخلاق ويتم كمال الأدب، وبه تدرك الفتوحات الربانية والأنوار المحمدية.
وللتصوف الاسلامى تعريفات كثيرة كلها ترجع الى معنى واحد هو الاحسان والخلق والتقوى وطلب الكمال، وفى هذا المعنى يقول الإمام الغزالي، إنى علمت يقينا أن الصوفيةهم السالكون لطريق الله خاصة، وأن مسيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق.

ويرجع الكثير من الباحثين أصل تسمية التصوف فيقولون سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها وهم فى هذا يردون التسمية إلى الصفاء.
وسئل الجنيد بن محمد البغدادى عن التصوف فقال "اسم جامع لعشرة معان."
الأول: التقلل من كل شئ من الدنيا عن التكاثر فيها.
الثاني: اعتماد القلب على الله من السكون إلى الأسباب.
الثالث: الرغبة فى الطاعات من التطوع فى وجود العوافى.
الرابع: الصبر على فقد الدنيا عن الخروج إلى المسألة والشكوى.
الخامس: التمييز فى الأخذعند وجود الشئ.
السابع: الشغل بالله عز وجل عن سائر الأشياء.
الثامن: تحقيق الإخلاص فى دخول الوسوسة.
التاسع: اليقين فى دخول الشك.
العاشر: السكون إلى الله من الاضطراب والوحشة .
فإذا استجمع هذه الخصال ـ أى الصوفى استحق بها الاسم وإلا فهو كاذب.
ويسرد الذين كتبوا فى التصوف الكثير من أخلاق الصوفية مثل التواضع. والإيثار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة وقوة اليقين وفى هذا المعنى نزلت الآية» ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.«

ومن أخلاقهم التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة، وقد روى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه واله وسلم أنه قال: «رأيت قصورا مشرفة على الجنة

فقلت يا جبريل لمن هذه؟ قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.«
ومن أخلاقهم البشر وطلاقة الوجه، فالصوفى بكاؤه فى خلوته وطلاقة وجهه مع الناس، وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :
»كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق.«
ومن أخلاقهم التودد والتآلف والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة قال عليه الصلاة والسلام. «المؤمن يألف ويؤلف،ولا خير فيمن لا يألف ولايؤلف.«
ومن أخلاقهم رضى الله عنهم غيرتهم لله تعالي: إذا انتهكت حرماته نصرة للشريعة المطهرة فكانوا لا يفعلون فعلا يحبون أحدا ولا يبغضونه لعلة دنيوية.

ولذلك كان علماء السلف يدعون الناس إلى مرافقة الصوفية ومصاحبتهم حتى يتعلموا منهم ويتخلقوا بأخلاقهم، وفى ذلك ورد أن رجلا قال لسهل بن عبدالله التسترى المتوفى عام ٢٧٢ هـ، رحمة الله: من أصبحت من طوائف الناس؟ فقال عليك بالصوفية، فإنهم لا يستكبرون ولا يستكثرون.

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود موضحا أهمية الأخلاق الصوفية فى عصرنا الحاضر:

فى هذا العصر الذى أخذت فيه الأرض زخرفها من العناصر المادية وقامت فيه الحضارة الأوروبية على المنهج الحسى المادى ولا تكاد تعترف بغيره من المناهج، مازال فى البيئات الإسلامية، والحمد لله، طوائف من أصحاب الفطر السليمة الذين يرجون للبشرية مستقبلا يضرب بأسهم وافرة فى عالم الخير والحق، عالم الدين والروح، عالم الإخاء والإيثار وهذا العالم الذى تنبع أصوله من وحى السماء، والذى يسير أفرادا، أو جماعات هادفا إلى تحقيق المنهج الإلهى والمبادئ الإلهية، يمثله كنماذج أضوأما تكون النماذج أئمة التصوف، وأعلام الصوفية، إنهم يمثلونه فى المنهج الذى اتبعوه، ويمثلونه كحقائق واقعية فى المبادئ والقواعد، إن حياتهم منهجا وموضوعا تترسم التربية الإلهية، وهدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فيما هو سهل يسير، وهم يحاولون ما أمكن أن يكونوا بقدر الاستطاعة ورثة الأنبياء علما وورثة الأنبياء سلوكا وورثة الأنبياء أحوالا ومقامات .